(١٤)

كلمة الله

تعرفها فترضاها وتحبها فتحياها

حديث الجمعة

٢٣ ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ - ١٤ أكتوبر ١٩٦٠ م

من أسلم.. من سالم.. من سَلِم..

إن قلوبنا في حاجة إلينا ونحن في حاجة لعقولنا. وعقولنا في حاجة لقلوبنا. إنها دورة الحياة فينا، منا وإلينا وبنا. إذا لم تتحرك دورة الحياة فينا فما حيينا. وإذا لم تنتظم دورة الحياة فينا فما سلمنا. وإذا لم تتكشف معانينا لنا فما علمنا. وإذا لم نحرص علينا فما أمنا. وإذا لم نرنا فما شهدنا، وإذا لم نسر إلينا فما وحدنا، وما في حصن لا إله إلا الله دخلنا، وما بحسبنا الله ونعم الوكيل قمنا، ولا بالحي القيوم تحققنا.

نحن أبناء الأرض بذواتنا، وأبناء السماء بقلوبنا، وأبناء الحق بمعانينا. إن الأرض أنبتتنا بأجسادنا وذواتنا، والسماء لقحت نباتها من ذواتنا بقلوبنا، لقاحا لأبداننا، وبعثا لمعانينا. فقلوبنا من معدن السماء وأهلها، وذواتنا من معدن الأرض وأهلها، وعقولنا من نور الحق وأهله.

فإن حرصنا على إحياء قلوبنا - وهي في حاجة لنا - بتهيئة أسباب الحياة لها لبعث معانيها، بتغذيتها، بكلمة الله تبحث عنها فتلقاها، وتحبها فتحياها، تفنى فيها فتبقاها.

إذا ما حيا القلب فعقل، وإذا ما حيا العقل فحكم، وإذا ما حيا الحس فعمل، تحررت الإرادة من عبء تدبير النفس، وعبء تدبير الذات، فانطلق العقل في ملكوت الله الذي منه جاء، والذي منه تواجد، والذي فيه وجد، والذي به ينمو، والذي به يتحرر، فيعود للسبح في داره، ويتحرر من سجن اضطراره بإرادته، في حرية كاملة، وإرادة طليقة شاملة لا يعوقه عن مراده عائق، ولا يحول بينه وبين حريته حائل. لا تحبسه السموات ولا تقهره الأرض. يتبادل مع القلب وظيفة الرب الراعي لبيته، وذاته، وعلميته. فإذا ما حيا به القلب كانت له عينان، ولسانا، وشفتان، وأنف، وأذنان. يحيا

القلب فيقوم في معنى الإنسان، مع العقل في معنى الديان، ربا خلقه وأحياه وأحبه فتبناه، فيصبحان خليلين وحبيبين يتخلقان في الله باسم الله، وبإرادة الله علمان عليه بعلمية أحدهما على أخيه، مؤمنان به كلاهما مرآة أخيه بين ظاهر لباطن وباطن لظاهر. روحان يواصلان الحياة ويواصلان الدورة في الحياة دورات ودورات. ما بين ذات وروح يتواجدان، متعارفان في عالم الذات أو في عالم الروح، أو أحدهما في عالم الذات والآخر في عالم الروح. يواصلان هذه الحياة النامية المترنمة باسم الله، مواصلة لا نهاية لها، ولا انقطاع لها، ولا توقف لها.

هذا هو معنى الإنسان. إذا ما أصبح الكائن البشرى في معنى الإنسان. وهو ما عالجته - ليكون على ما هو كائن - رسالات السماء وحكمة السماء، ورسالات الأرض وحكمة الأرض، دواليك، في قديم من الزمان لا تدرك بدايته، وفى دائم من الزمان لا تدرك نهايته...

فكل رسالة قامت في البشرية نبعت من صدر حكيم أو من قلب مستقيم، أو أرسلها قلب حكيم وإنسان في الله مستقيم، فنطق بها نبي كريم، إنما قامت على ما يتناسب وقابلية الجنس بشقيه من عالمي الجسد والروح.. إنما قامت لتعالج أمر الجنس بشقيه من عالمي الروح والجسد ليستقيما في طريق الحياة، وليعرفا عن طريق الحياة التي بها يحيا الإنسان، والتي يقوم عليها وعلى حياته بها قديم الإنسان، والتي إن صلح بها الإنسان كان مصدرا للحياة، وكان مصدرا لشرائع الحياة.

فالإنسان بجسده وذاته تحت قوانين الطبيعة عبد لهذه القوانين، وعبد لمقننها من الإنسان محجوبا عنه. والإنسان في كماله فوق قوانين الطبيعة وهو مصدرها ومقننها. إن الإنسان تحت الطبيعة ووطأتها وسلطانها إنما هو عبد الطبيعة ومخلوقها ووقودها. والإنسان الذي اقتحم عقبة الطبيعة، فتحرر من سلطانها، ومن قابلية استهلاكه بها لها منها فيها، فانطلق لا تحجزه سماء ولا تمسك به أرض، اقتحم العقبة، فتحررت رقبته من سلطان الطبيعة، وانطلق في ملكوت ربه، في ملكوت الله، في ملكوت الحقيقة، في ملكوت المطلق. وقام بهذا الملكوت سيدا على الطبيعة حيا بنفسه حرا بإرادته، قادرا بقيامه. أُعطي خلقَه، لقيَ هديه، عرف ربه في وجوده منزها عن الإطلاق بالتقييد يحياه، ومنزها عن التقييد بالإطلاق يحياه. فكان عبدا بتقييده لمطلق ربه، وعبدا بإطلاقه لذات ربه.

عرف ربه في نفسه، وعرف نفسه في ربه. عرف عقله في قلبه، وعرف قلبه في عقله. عرف قلبه في ذاته، وعرف ذاته في قلبه. عرف نفسه فعرف قيامه على نفسه. عرف القيوم من ربه على نفسه، فإذا هو وعيه وحكمته. عرف القائم من ربه في قيامه، فإذا هو وجهه وطلعته. عرف الله في وحدانية الله معه. فَرقَه وجَمعَه. وفَرطَه وجمَّعه. جمعَه إليه وجمع به عليه.

هذا هو عبده.. هذا هو الرسول العبد.. وهذا هو العبد الرسول.. هذا هو النبي المُنبئ الجامع للنبأ، المَحمِل للنبأ، والمرسل بالنبأ.. هذا هو الرسول النبأ هو عين النبأ.. هذا هو الإنسان.. هذا هو ابن الإنسان.. هذا هو خليل الإنسان يتعدد به معنى الإنسان.. هذا هو أخوة الأبناء في تعدد الأبناء في وحدة الأب.. هذا هو الأب مظهر الآباء من وحدة الآباء.

إن الإنسان في إطلاقه وتقييده، هو المعروف، هو الموجود، هو الحاضر، بل هو الحاضر الغائب، هو المعروف المجهول، هو الموجود المعدوم، هو اسم الله، وهو وجه الله، هو طلعة الله، هو صفة الله، هو عبد الله.

إن وجودكم على معناه من الأرض، إنما هو بيان، إنما هو كتاب، إنما هو حجاب، إنما هو حقيقة. فإذا قرأتم أنفسكم بأنفسكم، كتابا مبينا، وعبدا أمينا، وإماما رشيدا، كفاكم ذلك لقيام وصلة بينكم، وبين قديم معناكم. بين قديم معناكم من أمكم وأبيكم، من أمكم وأبيكم وأصولكم وبنيكم.

إن الساعة إلى ربكم منتهاها، فأنتم قيامها إذا أقمتموها. وإن الآخرة في قيامكم معناها، إذا طلبتموها، فعرفتموها، فأيقنتموها مبعوثين بقديم لكم في حاضر منكم.

إن كل رسالة بشرية بشقيها من الأرض والسماء هي وعي صاحبها وصلاح أصحابها. قامت على قابلياتهم، كما قامت في حدود معدلات وعيهم في وعي مؤسسها. أما رسالة الله السرمدية فهي رسالة الفطرة، هي قيام الفطرة، هي طبيعة الفطرة. وها هي الفطرة تؤتي أُكلها. وها هي شجرة الجنس تبلغ ذروة مرتقاها، فيسترشد أصلها بفرعها، وفرعها بأصلها بين أرضها وسمائها. ها هي السماء تتحدث بثمرات للأرض من شجرتها كما تتحدث الأرض بقديم منها مبعوث فيها. فما تكون السماء وأين السماء وما السماء؟

ليست السماء إلا ما بعد عن الأرض من تكوين، على مثال منها ومن أهلها ملأ أعلى على مثال من ملئها. فإذا ذهبنا إلى ملأ من ملأ الله في سموات الله، وطلبنا ونحن من بين أعضائه السموات لكانت الأرض مطلوبنا، لأن بها ملأ يطلب عند ملأ يطلب. إن ملأ الأرض غيب على ملأ السماء. كما أن السماء غيب على ملأ الأرض. فإذا ما اجتمع الملآن قامت خلة الرحمن.. قام الحب في الإنسان.

إنهما دنيان، وإنهما لأخريان في صعيد واحد يجتمعان في برزخ من قيام من الإنسان. إن الملأ الأعلى يجتمع علينا في ملئنا عن طريق برزخ من بين برازخ ذواتنا، فيكلمنا من وراء حجاب، ويكلمنا وحيا، ويهيئ الأسباب في ملئنا لمن كان فيه شيء من معنى الإنسان أن يتصل بأصله من ملأ الإنسان

الأعلى الذي دانى فقارب فتحدث، كما يهيئ فرصة لإنسان التواجد الأرضي، للكلام والحديث في عوالم للإنسان، على مثال مما يفعل عالم هذا الإنسان الأعلى في عالم إنسانيتنا. وإن في اجتماع العقل على القلب في برزخ الذات اجتماع الملأين.

إن الإنسان في عالمنا هو الإنسان في عوالمه من ملأ آخر. فإنسانية الأرض مع إنسانيات هذه العوالم، يتخاللان ويتحابان فهما أخوان، هما إنسانان في إنسان واحد من الأعلى من الحق. وهذا ما عناه الرسول إذ يعرف عن نفسه لأمته بأنه (خليل الرحمن، وأنه حبيب الرحمن)[1]، وأنه رفيق الرفيق الأعلى، وأنه يطلب الحق بالرفيق الأعلى. إنها رفقة. إنهم رفاق.. إنها الإنسانية.

إن الحق.. إن الإطلاق.. إن الله.. إن روح الله.. إن ذات الله في معاني وحدانيته المطلقة وانفراده اللانهائي لا تتواجد مع موجود، وإن كان في معاني العبودية له. ولكن الذي يُعرف للعباد ليقوم بهم الوعي والرشاد. إن الذي يعرف لهم إنما هو من معانيهم من الرفيق الأعلى في اللانهائي، سواء في إدراك الإطلاق بالإحساس في تقيدهم أو مشاهدة مقيده في المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن مرآة أخيه.

بهذا الوعي جاء محمد. عرف المطلق في إدراك ذاته في تقييده {ما كذب الفؤاد ما رأى}[2] فكان بذاته ومقيده هو ذات المطلق إذ يشهده بفؤاده. يشهد إطلاقه بفؤاده بمعاني وحدانية المطلق معه قاب قوسين أو أدنى. ولكنه عرف في نزلة أخرى له أنه ما عرف إلا مقيدا كان منه قاب قوسين أو أدنى لأنه شهد بعينيه (ما زاغ بصره وما طغى)، رأى رفيقا أعلى يدانيه (نزلة أخرى) فعرف أنه بين الأمرين إنما يشهد عبدا من عباد الله أرسل إليه رسولا منه، أو حقيقة من حقائق الله، أو أمرا من أمر الله، وأن هذا المرتقى له سيكون متجددا متزايدا وبلا نهاية.

فعرَّف الله غيبا لا يُشهد. وعرَّف الله شهادة لا تغيب لأنه عرف الله فيما شهد مظهر غيبه، وعرف الله فيما ظهر ظاهر غيبه، وعرف أن غيبه في ظاهر الله، وأن ظاهره في غيب الله، وأنه هكذا تكون المعرفة عن الله فناء عن نفسه إلى عبوديته للحق (مَنْ محمد!)[3].. {دينا قيما}[4] ارتضاه الله للناس كافة. وكان في ذلك كماله، {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}[5]، فكان الإسلام بذلك دين أهل الأرض كما هو دين أهل السماء. وكان محمد به الحق في الأرض كما هو بحقيقته فيه الحق في السماء. كان محمد بذلك إنسان الله ومثاليته من إنسانية الله. لا ينقطع تواجدها ولا ينقضي جديدها، ولا يدرك قديمها.. عبدا لله لا ينقضي معراجه في عبوديته، ولا ينتهي طلبه لحقيقته، فاستقام به للعقل طلبه، وللنفس مرادها، وللذات تطورها، وللنور ظهوره، وللظلام انقباره وانقشاعه.

فكان عبد الله في السموات وعبد الله في الأرض. وكان عبد الله في قديم الله وفي قديم نفسه، وفي جديد الله وفي جديد نفسه، وفي قائم الله وفي قائم نفسه.

إن العبودية لله على ما قدمها محمد تُعشق وتُحب فيها الحرية بنعمة الله، وفيها القيد بحب الله.. فيها القيد عن الزلل.. وفيها الحرية في الكون وفي العمل.. فيها المعرفة عن الله.. {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا}[٦]. كذلك كنتم {خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}[٧]، الله أقرب إليكم من حبل الوريد، معكم أينما كنتم، على ما عرفتم، وجوها له، وشهداء على الناس.. الرسول عليكم شهيد.. لكم منه القديم، ومنكم له الجديد، يقوم ويتقلب في الساجدين، فيبعث بنوره في المبعوثين، ويشهد في المشاهدين، كما يُشهد في الشَاهدين، وينام مع النائمين، ثم يقوم مع القائمين، ويموت مع الموتى، ويحيا مع المتجددين.

هذا هو رسول الله الذي تعرفون، والذي تذكرون، والذي آمنتم به وله بالرسالة والبلاغ تشهدون، وبه تقومون، وفيه تسبحون لا إله إلا الله محمد رسول الله.. لا إله إلا الله محمد عبد الله.. لا إله إلا الله محمد وجه الله.. والله أكبر. هذا هو دينكم القيم. وهذا هو إيمانكم. وهذا هو وعيكم. وهذا ما يجب أن يكون لكم. وهذا ما هو في ملك يمينكم. وهذا ما هو من الله لكم. ما طلبتموه وجدتموه.

اذكروا الله كثيرا في أنفسكم واذكروا رسوله كثيرا في أنفسكم. فأنتم بالله ورسوله، وأنتم مع الله ورسوله، وأنتم من الله ورسوله، وأنتم إلى الله ورسوله. اسألوا الله ورسوله حتى يغير ما بأنفسكم، وغيروا من جانبكم ما بأنفسكم ولا تكزوا على ما ورثتم من جهل، ولا ترفضوا ما نشر الله بينكم من علم. فإن الله هو المعلم والهادي وهو الآخذ بالنواصي الضارب على الأيادي، وهو الذي لو شاء لهدى الناس جميعا ولكن إرادته سبقت بدوام نوعكم، فريق للجنة وفريق للسعير، وما كان ليعذب الناس وفيهم رسوله، وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون.. {ما يفعل الله بعذابكم}[٨] ما أوردكم سعيرا أنتم واردوها، وقد كان عليه ذلك حتما مقضيا، إلا ليعلمكم السعير وما نفوسكم إلا معناها. وما الجنة إلا انطلاقكم في الكون بحريتكم وقدرتكم.

هذا هو الدين فاسألوا الله أن يكون لكم دين، وأن تكونوا على دين وفي دين.. هدانا الله وإياكم سواء السبيل.

اللهم ارزقنا الدين، وارزقنا اليقين، وارزقنا الإسلام، وارزقنا السلام. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. اللهم اغفر لنا، وتب علينا، وتولنا في الكبير والصغير من شأننا، وكن لنا فيما أنت كائن فيه لنا.

اللهم ارحمنا برحمتك، وولِ اللهم أمورنا خيارنا بمنتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعدلك ونقمتك، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، وأنزل سكينتك على قلوبنا، وأنزل السلم والسلام على أرضنا، وألف بين قلوبنا، وامحُ فيك فرقتنا، ووحد فيك وجهتنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(لماذا يفضلون الظلام في حين أنه يمكنهم الحصول على الضوء؟ لماذا يفضلون الجهل في حين أنه يمكنهم الحصول على المعرفة؟ لماذا يفضلون الخرافة في حين أنه يمكنهم الحصول على الحكمة؟ لماذا يفضلون العظام الميتة للعقيدة في حين أنه يمكنهم الحصول على الصدق الروحي؟ لماذا يفضلون تراب علم اللاهوت في حين أنه يمكنهم الحصول على حياة الحكمة الروحية؟)

(ما أنا إلا جهاز لكشف النقاب عن تلك الحقائق التي كانت في قبضة عالمكم مرات كثيرة ثم افتقدها، والتي عزمنا الآن على وضعها في جبهة عالمكم المادي. ولن تضيع بعد ذلك أبدا).

(أرى أحيانا كثيرين من السادة في عالمي والدموع في مآقيهم وهم ينظرون إلى حماقات الذين سوف يعرفون يوما كيف ضيعوا الفرص الذهبية للأخذ بيد أطفال الأرض. وأرى أحيانا وجوههم مكللة بالابتسامات لأن شخصا مجهولا بينكم قد أدى خدمة تشعل شعلة جديدة للأمل في عالمكم. لا تحكموا على شيء بالنتيجة الظاهرية. أنتم ترون بالعيون المادية فقط. لو استطعتم الرؤية بعيون الروح لعرفتم أن في كل طفل عدالة كاملة).

عن هدي السيد الروح المرشد (سلفربرش)

{إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[٩] (حديث قرآني)

(هذا أخوكم جبريل جاء يعلمكم دينكم)[١٠] (حديث نبوي)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ استلهاما من حديث شريف رواه الترمذي الذي فيه: "إنَّ اللهَ اتَّخَذني خليلًا كما اتَّخَذ إبراهيمَ خليلًا"، وحديث في صحيح ابن حبان: "إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر."

٢ سورة النجم- ١١

٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤ سورة الأنعام - ١٦١

٥ سورة المائدة - ٣

٦ سورة البقرة - ١٤٣

٧ سورة آل عمران - ١١٠

٨ سورة النساء - ١٤٧

٩ سورة يوسف - ٨٧

١٠ حديث شريف "هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم." رواه عمر بن الخطاب، أخرجه ابن خزيمة، والبيهقي، وابن حبان باختلاف يسير.